

تأثير الصراعات السياسية والحصارات الحربية وفترات السلم على طرق استغلال الماء والمحافظة على منشآته بأهم عواصم المغرب الأوسط (8.5 هـ/ 11-14 م) .

The impact of political conflicts, military sieges, and periods of peace on methods of exploiting water and preserving its facilities in the most important capitals of the Central Maghreb (5-8 AH/11-14 AD)

د.ة تسكورث يمينة. أستاذة بحث "ب" المركز الوطني للبحث في علم الآثار.

تيلابزة taskourthyamina@gmail.com

د. خبيزي محمد. أستاذ بحث "أ" مركز البحث في العلوم الإسلامية

والحضارة بالأغواط m.khobeizi@crsic.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/24 تاريخ القبول: 2024/11/29 تاريخ النشر: 2025/03/10

الملخص :

كان للماء دور كبير في عمارة المغرب الاسلامي خاصة بالمغرب الأوسط إذ كان للإباضية الرستميين السبق في تأسيس دولة مستقلة عاصمتها تاهرت ، وقامت على أساس مذهبي وعرفت ازدهارا اقتصاديا و اجتماعيا كبيرا جعلها ملجأ لكل إباضية المغرب ودار هجرتهم ، غير أن الفضل الكبير كان للزييرين والحماديين في ترسيخ التحضر والتمدن في المغرب الأوسط ، فكانت قلعة بني حماد بداية عهد جديد في تاريخ المغرب الأوسط وبناء شخصيته الحضارية ، فقد وصف الجغرافيون والمؤرخون مدينة القلعة ودمروا رخاءها ووصفوا عمائرهم التي تنم على تأنق في العمارة المدنية والعسكرية ، ما يدل على وفرة ساكنها باعتبارها

عاصمة الدولة ودار السلطان ، مما يستوجب كميات هائلة من المياه لسد حاجياتهم اليومية ، والأطلال التي كشفت عنها أعمال التنقيب توحى بوجود منشآت مائية كثيرة في مختلف المعالم ، رغم أن المنطقة عرفت تلك الفترة نقصا في المياه إلا أنهم اتخذوا أنظمة خاصة لتزويد سكانها بتلك الضرورة البحتة للحياة الهنيئة ، ومن بعدهم المرابطين و الزيانيين فالمرينيين بتلمسان الحضارية ، من خلال ما حققوه من تطور على أحسن أوجهه في العمارة بمختلف أنواعها : مدنية ، دينية وعسكرية .

. الكلمات المفتاحية : المغرب الأوسط ، قلعة بني حماد ، الدولة المرابطية ، الصراع الزياني المريني .

Summary :

Water played a major role in the architecture of the Islamic Maghreb, especially in the Central Maghreb, as the Rustamid Ibadis had the first to establish an independent state with its capital at Tahert. It was based on a sectarian basis and experienced great economic and social prosperity, making it a refuge for all the Ibadis of the Maghreb and the home of their migration. However, the great credit was given to the Zirids and Hammadids in consolidating Urbanization and urbanization in the Central Maghreb. The Beni Hammad Citadel was the beginning of a new era in the history of the Central Maghreb and the building of its cultural character. Geographers and historians described the citadel city, decried its prosperity, and described its buildings that show elegance in civil and military architecture, which indicates the abundance of its inhabitants as it is the capital of the state and the residence of the Sultan. Which requires huge quantities of water to meet their daily needs, and the ruins revealed by excavations suggest the presence of many water facilities in various landmarks. Although the region was known at that time for a water shortage, they adopted special systems to

provide its residents with this pure necessity for a comfortable life, and after them. The Almoravids, the Zayanis, and the Marnites of Tlemcen, through the development they achieved at its best in architecture of all kinds: civil, religious, and military.

Keywords: Central Morocco, Beni Hammad Citadel, Almoravid state, Zayani-Marinid conflict.

.مقدمة :

أولت الحضارات التي عرفتها الانسانية منذ القديم أهمية بالغة للماء، لأنه لا يمكن لأية مدينة من المدن أن تتطور بانعدام هذا العنصر الذي حاولت شعوب كثيرة التحكم فيه واستغلاله استغلالا جيدا، ومنها الشعوب الاسلامية ، فق أنعم الله تبارك وتعالى على بني آدم بنعم لا تعد ولا تحصى ، ومن بينها نعمة إنزال الماء من السماء ، جعل منه كل شيء حي ، وتسخيره لمخلوقاته (عامر)، 2002).

و كان اهتمامنا بالموضوع لتأثيره في كفاءات استغلال عنصر الحياة وهو الماء ، وعلاقة هذا الأخير بعناصر منشأة من طرف الانسان كوسيلة لحسن استغلاله ، ولعلاقتها أيضا بتأدية أغراض تختلف باختلاف وتنوع المنشآت منها ، وذلك لتأدية أغراض وظيفية وجمالية ، فما هي الطرق التي استعملت لجر الماء إليها ؟ وماهي التقنيات الموظفة لحماية غور مياهها أثناء الحروب والحصارات ؟ وما مدى تأثير السلم والاستقرار في تطورها شكلها ووظيفة ؟ .

كما ونوهنا أيضا لسياسة الموحدين المائية باستغلال الموارد وتوزيعها ومدى تأثيرها بسياسة المرابطين المائية بالمغرب الأوسط وتلمسان كمثال لها ، ليظهر لنا الفرق بين تسخير الحماديين لأحواض ضخمة وتبيان طريقة تدعيمها وتنوع أشكالها ، كمورد أول لفساقهم من خلال جمع المياه وتصفيتها أحيانا وتوزيعها ، وتسخير الصهاريج والخزانات لدى المرابطين والزانيين والمرينيين بتلمسان ، واخفاء قنوات جليها خاصة بالمناطق الخارجية عن دروب وعمارة المدينة ،

وهذا ربما تفسيره خشيتهم من غورمواردهم المائية وكذا تفادي افساد قنوات نقلها، بسبب انتشار الصراعات السياسية والحصارات والحروب العسكرية في الامتداد الزمني للدويلات الثلاث بالمغرب الأوسط .

1. المغرب الأوسط وتخومه الجغرافية :

أصبحت بلاد المغرب جزءا لا يتجزأ من دولة الاسلام الواسعة الأرجاء والممتدة من البحر المحيط غربا إلى بلاد ما وراء النهر شرقا ، وهذا منذ أن فتحه العرب المسلمين خلال القرن 1 هـ / 7 م ، لكن تظهر الصعوبة لأي باحث عند محاولة تحديد المغرب جغرافيا وأي الأقاليم التي يضمها ، لأن المصادر تعطي لهذا المفهوم الجغرافي والسياسي تعريفات مختلفة .

ومن ذلك نجد الجغرافي ابن حوقل (ت : 367 هـ) قد اختار الحواجز الطبيعية أساسا لتعريفه بلاد المغرب فقد ذهب إلى أن : " نهر النيل هو الحد بين المغرب والمشرق " (1992 ،) ، ثم حدد لنا تخوم بلاد المغرب فرسمها على الشكل التالي : " وحده من مصر الاسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات إلى برية تنتهي إلى أرض النوبة ، آخذا إلى البحر المحيط وممتدا إلى حقيقة الغرب بنواحي أرض غانة وأودغشت ، ويستمر عاطفا إلى الشمال مارا على بلاد بورغواطة وماسة إلى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من بحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس وراجعا حده من أرض طنجة على البحر إلى نواحي تنس وإلى تونس والمهدية من أرض افريقية مقبلا على أرض طرابلس وبرقة الاسكندرية " .

فبلاد المغرب عند ابن حوقل تمتد من غرب مصر عند الاسكندرية شرقا إلى البحر المحيط غربا ومن بحر الروم إلى أرض الصحراء وبلاد السودان جنوبا ، وتدخل هذه الرقعة الجغرافية بلاد الأندلس حسبه أيضا ، ففي النصف الثاني من القرن 5 هـ / 11 م ، يرسم لنا الجغرافي الأندلسي أبو عبيدة البكري (ت :

487هـ) ، حدود المغرب أثناء حديثه عن الصراع الذي كان بين الأمويين والعباسيين حول هذه المنطقة فيقول في معرض هذا الحديث : " وحدث إفريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا ، واسم طنجة موريثانية وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي بلاد السودان ، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق " (عبيدة)، 1965 (p. 21) .

وتخوم بلاد المغرب في نظر البكري تمتد من برقة شرقا إلى طنجة جنوبا ويتفق المؤرخون مع ما ذهب إليه الجغرافيون بخصوص تحديد تخوم بلاد المغرب فالمراكشي ذهب إلى اعتبار " أول حد بلاد إفريقية والمغرب قريب من خمس وعشرين مرحلة وما بين الاسكندرية وطرابلس الغرب خمس وأربعون مرحلة " (الواحد)، 1998،) ، وانطلاقا من هذا الامتداد الجغرافي لبلاد المغرب ، ابتداءً من القرن 5 هـ / 11 م ميّز الجغرافيون العرب بلاد المغرب ، فلاحظوا أنها تتكون من ثلاث أجزاء ، لكل واحدة طابعها الخاص الذي تتميز به ، وهذه الأجزاء هي : المغرب الأوسط ، المغرب الأقصى و المغرب الأدنى (الحميد)، 1978).

وظهر هذا الانقسام عندما انقسم الصنهاجيين على أنفسهم في عهد باديس بن المنصور، واستقل حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط وأمن المغرب الأقصى وعدوان بنو زيري الصنهاجيين ، واستطاعت زناتة في ظل الانقسام أن تمكن لنفسها وتفرض سيادتها على المغرب الأقصى بحيث أصبح حقلا وسيادة لها ، ولما مات الأمير باديس بن المنصور سنة 406 هـ استراح حماد من حروبه وتم له ما أراد من تأسيس دولة فتية بالمغرب الأوسط ، وانقسمت بذلك الدولة الزيرية الصنهاجية إلى دولتين إحداهما شرقية في إفريقية وطرابلس وعاصمتها القيروان ثم فيما بعد المهديّة ، والأخرى غربية في المغرب الأوسط ، واتخذت لها قاعدة هي قلعة بني حماد .

ولعل أول من أشار إلى هذا التميز الجغرافي البكري في القرن 5 هـ / 11 م ، خلال وصفه لمدينة تلمسان بقوله : " وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط

.... " ، و يذكر الإدريسي في القرن 6 هـ / 12 م أن بجاية : " هي مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد " .

تعد الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط ضمن خارطة المغرب الاسلامي في العهد الوسيط مسألة معقدة يصعب الفصل فيها لعدم استقرارها على وضع معين ، بفعل ديمومة حركة القبائل لخدمة أغراضها السياسية والعسكرية ، ودعوتها المذهبية ومطامعها الاقتصادية ، رغبة في التوسع والسيطرة والهيمنة .

فابن خلدون الخبير بأحوال المغرب الأوسط وأوضاعه العامة القبلية والسياسية والاقتصادية والدينية ، يرى أن المغرب الأوسط كنية جغرافية تدل على المواطن التي كانت تستقر فيها قبائل زناتة من وادي ملوية غربا إلى وادي شلف و الزاب شرقا ، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تهمرت أو تاهرت جنوبا ، فيعتبر الأقاليم الممتدة من شرق بلاد المغرب الأقصى وغرب بلاد المغرب الأوسط إلى بجاية صنهاجة ، أما إقليما بجاية وقسنطينة فمواطن كتامة وهوارة ، وما وراء قسنطينة بداية حدود افريقية وطرابلس ، غير أن هذا التقسيم استند أكثر إلى توزيع قبلي صرف لمرحلة ما قبل القرن 5 هـ / 11 م .

وقد استمر هذا الاعتقاد حتى نهاية حكم الدولتين الحفصية والزيانية ، ويؤكد على هذه التسمية فقيه بجاية وقاضيا في عهد الحفصيين أبو العباس أحمد الغبريني (ت : 704 هـ / 1306 م) بقوله : " لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله " (العباس) ، 1981 (p. 88) .

وقد ظل مفهوم بلاد المغرب الأوسط والأدنى والأقصى شائعا لدى المؤرخين والجغرافيين بعد ذلك ولكن ما يهمننا نحن في دراسة هذا الموضوع هو المغرب الأوسط من بداية الحماديين إلى عصر المرينيين (8.5 هـ / 14.11 م) .

2. أهم الأحداث التاريخية التي صنعت المغرب الاسلامي وتقسيماته :

كان لإنشاء القيروان من قبل " عقبة بن نافع الفهري سنة 50 هـ / 670 م ، من أهم الأحداث في تاريخ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، حيث أخذت معالم ولاية

إفريقية تتضح منذ إنشاء هذه المدينة ، كما أصبحت القيروان قاعدة حربية يتوسع منها العرب صوب المغرب لإتمام فتحه ، وقبله المغرب وكعبة الحضارة ومقل الاسلام ، فأصبحت الإقامة في القيروان أول ما تتجه إليه أنظار الوالي الجديد ، بعد أن كان أول الأمر يتطلع إلى مصر ويتعجل العودة إليها (محمود)، 1999 (p. 24) ، ثم استطاع العرب أن يتموا فتح المغرب ، فأوغل عقبة بن نافع في البلاد حتى أشرف على ساحل المحيط ، وهياً العرب للمغرب نوعاً من الوحدة السياسية بزعامة القيروان ، ولكن ما لبثت طبيعة البلاد أن ظهرت بوضوح وجلاء ، وأخذت تهدد هذه الوحدة ، فظهرت شخصية المغرب الأوسط ظهوراً واضحاً منذ البداية حين تزعم حركة مقاومة الفاتحين العرب بزعامة كسيلة بن لمزم ، الذي أوقع بعقبة بن نافع ، ولم ينجح العرب في بسط نفوذهم على المغرب الأوسط إلا بعد أن استطاع زهير بن قيس البلوي من القضاء على كسيلة وجموعه في معركة ممس سنة 69هـ / 689 م .

وأهم ما يلاحظ عن إقليم المغرب الأوسط ، أنه يمثل ما يطلق عليه الجغرافيون حلقة وصل بين أجزاء المغرب الاسلامي ، وبما وراءها من البلاد ، فهو يربط ولاية إفريقية (تونس) وما وراءها بالمغرب الأقصى وما وراءه ، مما جعل هذه البلاد جسراً ومعبراً زاد في أهميتها ، فقد كان المغرب الأوسط معبراً لكل الشعوب القادمة من جوف الصحراء ، وكان من أثر ذلك كله أن أصبح هذا الإقليم في العصر الوسيط أهم إقليم في بلاد المغرب تأثراً بالهزات العنيفة التي تجتاح إفريقية ، ولم يقدر للحضارة الاسلامية أن يتألق نجمها إلا بعد أن أتى الهلاليون على تراث القيروان ، فظهرت أهمية مدن المغرب الأوسط بصورة واضحة عندما ظهرت ثورات الخوارج في بلاد المغرب الاسلامي ، حيث استفادوا كثيراً من فراغ السلطة في المغرب الأوسط لتقوية مراكزهم ، فانبثق عن ذلك تأسيس الدولة الرستمية سنة 144 هـ. 296 هـ / 764 م. 909 م بتمهت أو تاهرت غرب المغرب الأوسط ، فراحت قبائله تؤيد عبد الرحمن بن رستم ، وجاءت دولته لثورات

الخوارج الإباضية في بلاد المغرب وهي أول دولة اسلامية تأسست بالمغرب الأوسط سنة 144 هـ / 764 م . ولم يحقق المغرب الأوسط نوعا من السلام يعيش في كنفه ، إلا في عصر الموحدين الذين أقروا السلم في ربوع المغرب الاسلامي ، و تجلت بوضوح تام وأصبحت لها قوة التوجيه في مجريات الحوادث في ظل دولة بني عبد الواد الزيانية التي قامت على أنقاض دولة الموحدين المنهارة .

إذ لما قامت الدولة الحمادية قبلا سنة 408 . 547 هـ / 1018 . 1152 م ، وسيطر ملوكها على هذه الأقاليم الثلاثة من بونة شرقا إلى سيوسيرات غربا (تقع غرب تنس بمرحلة) وإلى ورجلان جنوبا ، و زاحمهم المرابطون سنة 476 . 539 هـ / 1084 . 1145 م من سيوسيرات شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا ، والصحراء جنوبا ، ولما دخلت القبائل الهلالية مملكة الحماديين في النصف الثاني من القرن 5 هـ / 11 م وانتشرت في القرن 6 هـ / 12 م ، من بونه شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا ، إلى الصحراء جنوبا ، مما أدى إلى تلاحم هذه الأقاليم بعناصرها القبلية : بربر وعرب فيما بينهم وزاد في ترابطهما خضوعهم إلى سلطة مركزية واحدة في بجاية وتلمسان أثناء الحكم الموحيدي ، الذي فرض منذ أواخر النصف الأول من القرن 6 هـ / 12 م ، نظاما مذهبيا إصلاحيا وسياسيا موحدًا جعل من سكانها يشعرون بانتمائهم إلى موطن واحد .

فعرف المغرب الاسلامي بعد الوجود الحمادي و المرابطي ، صراعا سياسيا وعسكريا نتيجة ضعف الدولة الموحدية لا سيما بعد هزيمتها في معركة العقاب سنة (609 هـ / 1212 م) ، فانقسم إلى ثلاث دول : دولة بني حفص بالمغرب الأدنى وحاضرتها تونس (625 . 981 هـ / 1228 . 1573 م) / ودولة بني زيان أو بني عبد الواد بالمغرب الأوسط وحاضرتها تلمسان (633 . 962 هـ / 1235 . 1554 م) ، ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى وحاضرتها فاس (688 . 869 هـ / 1267 . 1464 م) .

وخلاصة القول أن التمييز عن المغرب الأقصى والأدنى دليل على أن مصطلح المغرب الأوسط كان يعني به العمق الممتد من بجاية شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا

إلى الصحراء جنوبا ، وهذا الامتداد الجغرافي والواقع التاريخي منذ بداية القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الحادي عشر إلى الخامس عشر الميلادي 5هـ / 11م إلى نهاية القرن 8 هـ / 14م ، ولذلك تعتبر هاته الفترة التاريخية من الفترات المهمة في تاريخ بلاد المغرب .

مع انتشار الاسلام وتوسع رقعة الدولة الاسلامية المتزامية الأطراف ، وتبعاً للمستلزمات الأمنية والمعيشية للمسلمين ، تم ابتكار فكر خاص بتخطيط المدن ، واهتموا فيه على وجه الخصوص باختيار الموقع المناسب الذي يعتبر الماء شرطاً أساسياً ، إذ يقول ابن خلدون في هذا المجال : " ... وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور، منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثرية، فإن وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية ، فيكون لهم في وجودهم مرفقة عظيمة عامة " .

تعتبر منطقة المغرب الأوسط قلعة من قلاع الاسلام الحصينة ، وتاريخها حافل بالأحداث التي تجعل المرء يفتخر بها وهو يقرأ أو يكتب عنها ، والبعض منها يسبب غصة في الحلق ويترك بقعة سوداء في القلب، لا ينتزعها إلا إيمان راسخ بسعة انتشار الاسلام ، والعمل المتقن في تتبع الروايات والبحث والتنقيب في المصادر التاريخية ، ومن بين تلك الدول والتي كان لها وزناً في المغرب الأوسط من خلال كل الأدوار التي أدتها طيلة الفترة الممتدة منذ بداية القرن 5 هـ / 11 م إلى نهاية القرن 8 هـ / 14 م وهي : الدولة الحمادية كبدية للتعاريف التاريخية والمخلفات الأثرية ، وكذا لطرق وكيفيات توزيع المياه طبيعياً وأخرى من صنع الإنسان بقيت نفسها عبر باقي الفترات ، ثم الدولة المرابطية ، والدولة الزيانية فالدولة المرينية.

تعرضت حدود الدولة الحمادية الجغرافية على امتداد تاريخها للعديد من التغيرات المتتابة ، وهذا راجع إلى طبيعة العلاقات السياسية للدولة ، إضافة

إلى مستوى الدولة وقدراتها على حماية حدودها ، والسمة البارزة لهذه الأخيرة هي أنها جزء من بلاد المغرب الأوسط .

حيث امتدت شرقا فحكمت القيروان وصفاقس وجزيرة جربة من تونس ، وعلى الرغم من أن تونس قد صارت إلى بني حماد وانقطاعها عن ملك المعز ، ووفود مشيختها للناصر بن علناس سنة 454 هـ/1062 م ، فإن ذلك لم يدم طويلا ، فسرعان ما أعلن عامل تونس عبد الحق بن خрсان استقلاله.

وكان إدخال مدينة بونة في المملكة الحمادية في عصر الحكام الذين خلفوا الناصر، أما الشمال الساحلي فقد كانت شواطئ الدولة على الأغلب تمثل المسافة الممتدة من بونة وخليج سكيكدة ، المرسى التجاري لعمالة قسنطينة إلى سيق القريبة من وهران ، وامتدت بالجهة الغربية إلى غاية فاس، وكانت بتلك الناحية لبني يعلي بتلمسان ، وبني زيري بن عطية بفاس ، وأغلب سكانها زناتة ، فكان الحماديون يترددون بجيوشهم عليها للقضاء على الثورات ، أما جنوبا فقد امتدت إلى الزاب ووادي ريغ وورقلة ، فتربعت الدولة الحمادية على رقعة جغرافية هامة من خلال اتساعها .

وتبعاً للأحداث وكما أشرنا من قبل أنه لما ثار حماد ورغب في الاستقلال عن باديس بن المنصور وشيّد القلعة ، طلب منه هذا الأخير أن يتنازل له عن تيجيس وقسنطينة ، غير أن هذا الأخير أبى وامتنع ، ومن ثم قامت الحرب بينهما ، واسترجع فيها باديس مدينة قسنطينة ، وبقيت تابعة له إلى أن جاء الزحف الهلالي الذي تسبب في إثارة الفساد ببلاد المغرب ، فاسترجعها الناصر بن علناس سنة 454 . 481 هـ/ 1062 . 1088 م ، ليولي عليها أخاه بلبار سنة 454 هـ 1062 م (الرحمن، كتاب العبر ، الجزء السادس) .

وأصبحت مدينة قسنطينة تحت الحكم الحمادي قلعة حصينة وكبيرة ، كان بها سور متوسط الارتفاع ، فتح فيه بابان : باب ميله بالناحية الغربية ، وباب القنطرة بالناحية الشرقية ، ويتقدمه جسر يعود تاريخ بنائه إلى الفترة القديمة

، حيث كان يشتغل بطريقة عادية خلال هذه الفترة (الشريف)، وكانت تسكنها قبائل كتامة ، وقصدها الكثير من الناس من مناطق مختلفة .

وفي عهد يحي بن عزيز سقطت دولة بني حماد سنة 547.515 هـ/1121.1152 م ، حيث تمكن عبد المؤمن بن علي الموحدي من الاستلاء على كل من القلعة وبجاية سنة 547 هـ/1152 م ، بعد أن عمروا ما يقرب من قرن ونصف القرن.

سياسة الأغلبية المائية وتأثيرها على الحمادية :

ولعلاقة موضوعنا بالماء كان لا بد من التطرق إلى عرض لأهميته عند الدويلات السابقة للظهور الحمادي وما المناهج التي سلكوها في استغلاله ، باعتباره عنصرا حيويا أساسيا للحياة ، مبعث الحضارة وقمة الجمال ، لا تسعنا صفائح الدنيا إن أعددنا أو أحصينا فوائد ومزايا هذا السائل العجيب ، فرب العباد جل وعلا أوحى لنبيه عليه الصلاة والسلام بقوله : " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " ، فبه أحيا الأرض وبعث فيها بهجة الدنيا .

فترعرعت كل حضارات الدنيا وازدهرت على ضفاف الأنهار كحضارة واد الرافدين بالعراق و حضارة نهر النيل بمصر وكذا بالأندلس ، فقد كانت هذه المناطق موطن تواتر الحضارة ، إذ نمت بها الصنائع والفنون والعمران ، أما فيما يخص الحضارة الاسلامية الأولى فقد استغلوا الموروث الحضاري البيزنطي والفارسي وصهروا فنا اسلاميا تسوسه الشريعة الاسلامية في كل مظاهر الحياة ، فكان التقرب إلى الله طلبا للثواب دافعا لولادة الأمور في توفير عناصر الحياة الرغيدة لرعاياهم ، ولعل الماء أهمها و أخطرها ، فبرع المسلمون في هذا الجانب في العمارة المدنية والدينية وأولوها أهمية قصوى كعنصر استراتيجي ترهن به عمارة الأرض.

فأولت أولى قلاع الإسلام في بلاد المغرب الاهتمام بعنصر الماء ، حيث كان لبني الأغلب بإفريقية (تونس حاليا) فضل كبير في عمارة تلك الديار ، وإن كان المستشرقون يحاولون دائما نسب مظاهر التحضر والتمدن إلى الرومان ، غير أن

أعمال البحث الأثري أثبتت عكس ذلك ، وأكدت الشوط العظيم الذي قطعه المسلمون في إفريقية في عمارة الأرض ، وتمصير البلاد بالمنشآت المائية من شبكات وأحواض و مواجل وقناطر أبهرت الرحالة والجغرافيون ، فخلدوها في مصنفاتهم ، وتوجب علينا ذكر سياستهم لأنها كانت كمنبع أول اتخذت منها الدويلات الموالية لظهورها الأمثلة في توزيع الثروة المائية، كالأغالبية بالمغرب الأدنى .

فأكد حسن حسني عبد الوهاب أن الأغالبية كانت لهم " سياسة مائية " ، بحيث أن هذه المسألة كانت تشغل بال أفراد هذه الأسرة إلى حد كبير بدليل أنهم أنشأوا منصبا إداريا دائما يتولاه موظف رسمي خاص بهذه المهمة وهو " صاحب الماء " ، ولا نعرف مهام أصحاب المياه ولكن يبدو أنهم كانوا مكلفين بتسيير كل ما له علاقة بالماء ، من تموين وري في مقاطعة ما ، أو في عدة مقاطعات من البلاد .

وقد سهروا على حفظ وصيانة الانجازات المائية القديمة الجبارة من قرطاجنية ورومانية وبيزنطية ، زيادة على الانجازات العديدة التي حققوها بأنفسهم ، وكان جهدهم الأساسي في هذا المعنى يتجه نحو المناطق الأقل حظا من الأمطار ، حيث لا يكفي ماء السماء للحفاظ على النباتات ، وهي على الخصوص مناطق القيروان والساحل وسوسه وصفاقس ، وهي مناطق استرعت انتباههم حيث يتم في أيامنا اكتشاف أعمال أغلبية خاصة بالتقاط الماء وجره .

ويحصر Solignac مدة استمرار تطبيق السياسة المائية في إفريقية ، ما بين تاريخ فتحها النهائي الذي كرسه تأسيس مدينة القيروان سنة 50هـ/670 م ، وتاريخ بدء الغزوات الهلالية سنة 440هـ/1050 م ، ولاحظ نفس المؤلف أن المنشآت المائية التي عكف على دراستها موجودة في منطقة القيروان وسهوب تونس الوسطى والجنوبية التي تشكل الجزء الشرقي من إفريقية والتي تداول على حكمها الأمويون والعباسيون ثم بعدهم الأمراء الأغالبية المواليين للعباسيين وبعدهم الفاطميون ، وفي النهاية أمراء بني زيري الصنهاجيين ، مؤكدا عدم وجود نماذج أخرى على الأقل بنفس الكثافة والتوزيع ، خارج حدود المنطقة السهلية ، باستثناء حوضين واقعين في أودية جبل وسلات فإن بقية المنشآت كلها تقع داخل

مساحة محصورة بالحواف الجنوبية والجنوبية الشرقية من منطقة الظهرة الجبلية من جهة ، ومن جهة أخرى بخط يربط قفصة بمَحْرَس ، ويمكن ملاحظة أن حدّ هذه المنطقة من الناحية الشمالية يلتقي مع خط متساوي الأمطار ب 400 ملم وحدّه من الناحية الجنوبية ، خط قفصة محرس مع خط متساوي المطر 200 ملم ، ولا يوجد أيّة منشأة مائية من النوع المدروس هنا جنوبي منحى 200 ملم ، فهذا الأسلوب غير قابل للتطبيق في المنطقة شبه الصحراوية والصحراوية ، وقد تمّ العثور على أكثر من 250 خزّانا خاص بتخزين مياه الفيضانات ، وفي بعض الحالات مياه بعض العيون أو بعض الطبقات الجوفية في المناطق المشار إليها .

وكان مبتكرو السياسة المائية في هذا البلد يعرفون أهمية الدور الكبير الذي ينبغي أن تلعبه مياه الفيضانات ، بسبب عدم انتظام التساقط ونقصان المطر الذي يشكل القاعدة العامة ، كما كانوا يعرفون القابلية الكبيرة لنفاذ التربة فاقتنعوا بضرورة امتلاك منشآت موضوعة بطريقة تجعلها قادرة على تخزين مياه السيول قبل اختفائها في الأرض النافذة، وما دام التبخر معتبرا في هذه البلاد كذلك فقد فهموا أنه يجب عليهم إعطاء ابعاد لتلك الخزانات بحيث يصبح نصيب الاسترجاع الجوي أقل ما يكون بالنسبة للارتفاع الاجمالي لكمية الماء المجموعة ، وفي بعض الحالات كما في القيروان ، كان يجب اكمال مصاريف مياه السيول بإضافة مياه العيون أو مياه الطبقات الجوفية للتخفيف من كثافة التبخر واجتناب التجفيف المبكر.

وخصّصت بعض تلك الأحواض لتزويد المراكز الحضرية الكبرى أو القرى الهامة بمياه الشرب ، وخصّص بعضها للتسلية والترفيه لكنها تكون قادرة عند الضرورة على إتاحة الفرصة لسقي ثانوي قليل كما في حدائق رقادة والمنصورية وغيرها ، أما غالبية الأحواض فغايتها بالدرجة الأولى ريفية لا للري ولكنها لتأمين حاجيات تربية حيوانية مكثفة ، وبعبارة أخرى فهي مساعدة رعوية كثيفة والتي تشكل القاعدة الأساسية لاقتصاد هذه المناطق السهبية ، والنتيجة التي تمخضت عن

ممارسة سياسة تربية الحيوانات في بداية العصر الوسيط ، تمثلت في رفاهية كبرى عرفت المناطق المعنية حتى أن المؤرخين يتحدثون عن قيام حوالي 200 قرية في سهوب الحلفاء التي هي اليوم عبارة عن صحراء هائلة.

وما تزال آثار عديدة لمنشآت مائية أنجزها الولاة الأغالبة والفاطميون قائمة إلى اليوم ، في حين أن المدن نفسها والقرى اندثرت ، مما يتبين أنهم اتبعوا سياسة مائية بجدية كبيرة وإدراك واضح جدا للخلود : فالقصور والمدن المبنية بالطوب والتراب زالت ، أما الأحواض المبنية بالحجارة واللياط فما زالت تتحدى الزمن.

كان يشترط على الحاكم لعمارة المدينة التي قد يكون موقعها بعيدا عن مصادر المياه ، أن يجلب الماء إليها ، وهذا ما حدث فعلا في العديد من المدن الاسلامية في المغرب الاسلامي ، فحماد بن بلكين عند تأسيسه لمدينة القلعة ، راعى في ذلك دعائم العمران من جلب المنافع ودفع المضار ، فأحيطت بأسوار لضمان أمنها كما أن القمم المجاورة توفر المرعى للسائمة والمحطب ، ولم يهمل سقايتها فامتداد المدينة بالمياه من الشواغل أو بالأحرى من الأساسيات عند تخطيطها ، ومدينة بحجم القلعة تستهلك كمية معتبرة من المياه لسد الحاجيات المنزلية والصناعية للسكان ، إلا أن الأستاذ قولفان Golvin نعت مسألة تموين المدينة بالمياه بالغموض في قوله : "إن تموين المدينة بالمياه يعد لغزا حقيقيا ، فالينابيع التي توجد على امتداد وادي فرج وعلى أطراف قرية الفضل غزارتها قليلة تكفي فقط الأهالي المحيطين بها، ومقابل ذلك فإن وجود منشآت الري التي لا تزال بقاياها ظاهرة للعيان بالموقع ، من أحواض وحمامات وبحيرة قصر البحر تعطي نظرة كافية على أن المدينة كانت دائمة التموين بالمياه ...".

لكن ما يعارض قول الأستاذ من الناحية المادية أن المجاري المائية المحيطة بالقلعة من حيث موقعها وغزارتها يمكن استغلالها وجرها إلى المدينة ، فعين السلام مثلا مستغلة حاليا لتوفير المياه الصالحة للشرب لكل سكان قرية بشارة مركز بلدية المعاضيد، إضافة إلى ذلك أن القلعة يتم تموينها على الأقل من ثلاث

قنوات رئيسية ، تضمن تزويدها بالكمية الكافية من المياه ، خاصة إذا علمنا أنها كانت أكثر غزارة مما هي عليه الآن .

ويعتبر اللواء دي بلي De Beylie من بين الباحثين الذين تعاقبوا على القلعة ، والذي أشار إلى المجاري المائية التي كانت مستغلة في الفترة الحمادية لإمداد المدينة بالمياه ، واعتمد في ذلك على الروايات الشفوية للأهالي ، وأشار إلى مصادر مختلفة من أودية و عيون كوادي فرج و عيون القلعة و جبل تاقرست ، والوادي الذي يحده المدينة من الناحية الجنوبية على سفح جبل الرحمة .

أهم آثار الدولة الحمادية التي لازالت أثارها شاهدة وموجودة بالقلعة التي نسبت تسميتها لهم ، و هي استحكام حربي بني في منطقة استراتيجية عالية أو في ثغر من ثغور الدولة ونحو ذلك ، لغرض المراقبة والدفاع ضد أي اعتداء خارجي ، فكانت عمارتها عبارة عن مجموعة من الأبراج والأسوار والمزاغل والمراقب ، وامتازت بأنها كانت سكنا للجند فقط ، ولا مجال لإقامة المدنيين فيها (محمد)، 2000 (p. 82).

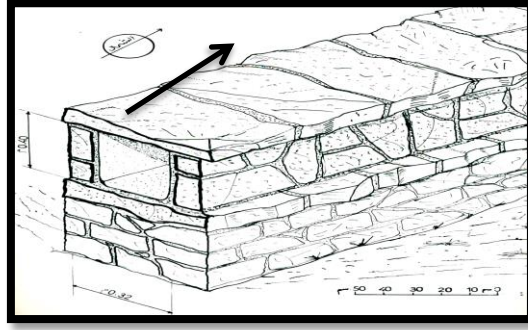
ورغم قصر العمر الزمني الذي حكمت فيه دولة بني حماد في القلعة إلا أنها شهدت الكثير من البناءات المعمارية ، فقد اعتنى الحماديون بالفن المعماري إعتناءً كبيراً ، فعمل حماد على انشاء حضارة من أرقى الحضارات ببناؤه القلعة ، فقد كانت فاتحة خروج البربر من الخيام والشروع في حركة العمران ، والتي بلغت مداها في عصر المنصور بن الناصر بن علناس الذي كان مولعاً بالبناء ، حضر ملك بن حماد وتأنق في اختطاط المباني وتشديد المصابغ وبني القصور وأجرى المياه ، فقاموا بإحضار المهندسين من إفريقية ومن المشرق لتشديد هذه البنايات المختلفة ، فكان لتطور التجارة أثر بارز على ازدهار العمران والتفنن في بناء القصور ، التي أصبحت مرآة عاكسة لرفاهية المجتمع الحمادي ، وقد استمر اهتمام الحماديين بالزخرفة العمرانية فأسسوا بذلك قصورا غاية في الجمال والابداع .

وقد وصفه صاحب الاستبصار أحواض قلعة بني حماد العظيمة في قوله : "
وقد وضع وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق ، يدخله ماء كثير ، من ماء
مجلوب على بعد وفيه الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف ... " ، غير أنه
لم يبق إلا أجزاء ، ومعظم أحواضها من الدبش والملاط وأجزاء من الأجر ، وبها
قنوات من الرصاص لجلب الماء بها وصرفه ، ومواجهل كبيرة الحجم وكذا وجود
أحواض وفسقيات رخامية صغيرة مختلفة الألوان .

غير أن الحروب قضت على العديد من معالم الدولة الحمادية بقلعة بني
حماد خاصة منها الدينية والمدنية أيام حماد بن بلكين ، لاسيما تلك التي وقعت
أيام باديس ومنافسة أشير ، غير أن المدينة عرفت مرحلة جديدة وذلك بعد
سقوط القيروان جراء التخريب والنهب الذي شهدته خلال النزوح الهلالي ، وكان
لقدوم رجال العلم والأدب والتجار والصناع والحرفيين والعلماء لمدينة القلعة .
طلباً لأمن أنفسهم وأموالهم ، لأنهم جعلوا منها واحدة من المراكز الثقافية في
العالم الاسلامي (1980, pp. 244-245) ، وأصبحت القلعة بعد هذا التطور
السياسي الذي عرفته مركزاً للعلم والحضارة حيث يصفها الإدريسي بقوله : "
ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا ، وأكثرها خلقا ، وأغرزها خيرا وأوسعها
أموالا وأحسنها قصورا ومساکن وخصبا " .

والملاحظ أن المهندس الحمادي لم يراع في بناء الأحواض التكلفة في تنميتها
، بل كان يركز أساساً على وظيفتها ، لذا كان يلجأ إلى بناء الجدران السميكة
وتدعيمها بالدعائم والأكتاف النصف اسطوانية في غالب الأحيان للتصدي
لضغط المياه ، وهي الأكثر انتشاراً من الفسقيات ، وإن قلة هذه الأخيرة فتبقى
تلك الأحواض الكبيرة هي الممول الأول لها بالمياه .

واستعمل في تقنية البناء مادة الدبش بطريقتيه المنتظمة وغير المنتظمة في
غالبية الأحواض والصهاريج ، والتي لا تظهر بوضوح بسبب استعمال بعض كتل
الدبش غير المنتظمة ، مما دفع إلى تسوية المسافات بالشظايا الحجرية والملاط
المكثف (الشكل 01) .



الشكل 01 : تقنية البناء بالدبش المنتظم بقنوات قلعة بني حماد . عن الباحثة .

وتظهر هذه التقنية في حوض قصر البحر والحوض المربع بقصر المنار ، ويعتبر هذا الأخير نموذجا حيا لمدى وصول المهندسين الحماديين في تقنية بناء الأحواض ودعائمتها .

يمكن ملاحظة طريقة بناءه في بقايا الأحواض ، وتمثل في بناء جدارين متوازيين ثم يملأ الفراغ الذي بينهما بالدبش والملاط ، ووضعت عوارض خشبية أفقيا في أعلى البناء لتزيد من قوته ، هذا من خلال أجزاء متبقية منها تم ملاحظتها وتركيب نظرة شاملة عنها .

كما اتخذ الحماديون الأقبية لتغطية صهاريج قصر البحر والآبار الموجودة في المسجد وحي جراوة.

فيعتبر المسجد الجامع الوحيد الذي يعطي نموذجا واضحا لتقنية بناء هذا النوع من السقوف ، فقد وضعت الحجارة بطريقة تتماس حوافها ويمسك بعضها البعض ، أما القسم السفلي فقد بني من كتل الدبش كبيرة الحجم .

وبعد تتبع خطوات موضوعنا بهذا الجزء منها والخاص بمنايع المياه بمجملها في الفترة الحمادية ، استنتجنا أنها هي أحد أهم العناصر الأساسية التي كان مؤسسو المدن والحواضر يولونه الأهمية القصوى ، كون الماء شريان الحياة الذي لا يمكن العيش بدونه ، فقد وصف المؤرخون والجغرافيون مدينة القلعة وذكروا رخاءها ووصفوا عمائرها التي تتم على تأنق في العمارة المدنية والعسكرية

، فسياسة الماء دون شك كانت عاملا أساسيا في استمرار المدينة أكثر من قرن من الزمان .

وكلما انتشر الاسلام وتوسّع المسلمون في فتوحاتهم لشتى أرجاء البلاد ، حيث أصبحت الدولة الاسلامية تضم العديد من المدن في مختلف الأصقاع ، وبمراعاة المستلزمات الأمنية والمعيشة للمسلمين تم ابتكار فكر خاص بتخطيط المدن ، ووضعوا شروطا لاختيار موقع المدينة ويعتبر الماء شرطا أساسيا من هذه الشروط ، حيث يقول ابن خلدون : " ... وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور، منها بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ، فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورة ، فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة ... " ، فعرفت بهذا الحضارة الاسلامية تقدما مزدهرا في مجال المنشآت المائية لا تقل أهمية عما عرف في الحضارات السابقة كالإمبراطورية الرومانية وغيرها.

وقد اشتهر العصر المرابطي بالغنى والثروة التي تعتبر الوقود لقيام أي حركة فنية ، مما أعطى قوة دفع للحضارة الأندلسية وفتح أبواب المغرب ليتلقى مزيد من التأثيرات الأندلسية التي بدأت تتدفق نحو المغرب ، ولأول مرة يرتبط المغرب والأندلس في وحدات فنية وثيقة ، فقد أقام المرابطون الكثير من المنشآت والعمائر خاصة منها الدينية، إذ كان يوسف بن تاشفين يأمر ببناء المساجد ليس في كبريات التجمعات السكانية فحسب .

ومدينة تلمسان تتوفر على ثروة مائية معتبرة ، حيث كانت من بين الأسباب الرئيسية المساعدة على استقرار الانسان بها منذ القدم إلى اليوم من غير انقطاع ، وصبغها بعمران حضاري لعلّ من أبرز محطاته التاريخية مرحلة القرون الوسطى التي عادت فيها مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط برمته طيلة ثلاث قرون من الزمن بحكم أسر خلّفت منشآت مائية كثيرة في هذا الصدد ، لا تقل أهميته عن منشآت الأندلس في الحضارة العربية الاسلامية .

ولمنشآت الموحدين المائية وسياستها تأثر ظاهر في ملامحه بسبب الاحتكاك الضروري من خلافات سياسية وغيرها ، ولاشتراكهما في نقطة واحدة ألا وهي مدينة تلمسان ، فتوجب علينا تبين تلك العلاقة لتبين لنا أوجه التأثير .

الموحدون وسياستهم المائية ذات التأثير المرباطي :

تداخلت الأحداث التاريخية في المغرب الأوسط منذ بداية ظهور الموحدين خاصة على أرض تلمسان ، فكان لعبد المؤمن مؤسس الدولة الموحدية علاقة وثيقة بالمدينة فأحوازمها شهدت مولده في قرية تاجر ، وأسواقها اختارها والده لبيع الفخار ، ومساجدها كانت منهل العلم له من خلال علمائها ، فمرت ظروف ومواقف معينة دفع الموحدين للتوجه والسيطرة على تلمسان ، وهذه الظروف هي :

. قيام قبيلة زناتة بالتعاون مع قبيلة بني عبد الواد بمواجهته بني ومانوا حلفاء الموحدين وقتل زعيمهم زيري بن ماخوخ ، مما دفع عبد المؤمن بن علي الأمير الموحي للتحرك نحو تلمسان ودخولها بصحبة تاشفين بن ماخوخ سنة 536هـ/1142م ، لفترة قصيرة ثم غادروها .

. قيام تحالف في المغرب الأوسط ضم قبيلة زناتة والمرباطين ضد التوسع الموحي في المنطقة ، خصوصا بعد كسب الموحدين ليحي ابن اسحاق المعروف بـ "انكمار" والي تلمسان المرباطي ، فبقيام الدولة المرباطية طرد الوالي ، وعيّن محلّه محمد بن يحيى بن فانون واليا جديدا على تلمسان ، مما استدعى تدخل الدولة الموحدية لإنقاذ حليفها الوالي المعزول ، إضافة إلى العلاقة القديمة بين تلمسان وعبد المؤمن بن علي .

دخل الموحدون تلمسان على مرحلتين ، الأولى سنة 538هـ/1144م بقيادة عبد المؤمن بن علي ، وعسكروا عند جبل الصخرتين قرب كهف الضحاك المطل على تلمسان ، في نفس الوقت تجمع المرباطون في تلمسان قرب باب القرمادين بقيادة تاشفين بن علي ، وبعد مناوشات بين الطرفين دخل الموحدون تلمسان بعد حصارها عدة أشهر .

ذكر المؤرخون أنه بعد دخول الموحيدين لتاكرارت قاموا بقتل معظم سكان المدينة ويرى الباحث أن سبب ذلك يعود لطرد سكان وفقهاء تلمسان محمد بن تومرت ، وعبد المؤمن بن علي قبل سنوات بسبب آرائهما الفقهية المخالفة لآراء المرابطين.

في المرحلة الثانية حاصر الموحدون القسم الثاني من المدينة والمعروف باسم أجادير الذي استعد للحصار حيث أغلقت الأبواب وتحصن الناس وراء الأسوار وتأهبوا للدفاع عن المدينة أمام الموحيدين ، ترك عبد المؤمن مهمة حصار المدينة للقائد ابراهيم بن جامع .

ودام الحصار لأجادير سنة (هكذا) ، نصّب خلالها الموحدون المجانيق وأبراج الخشب ، ولم يستطع الموحدون دخول المدينة إلا بعد خروج الحامية المرابطية منها ، وقد تأثرت تلمسان بالدخول الموحيدي إليها ، فقد وصف النويري في نهاية الأرب ذلك قائلا : " ... ونهب الأموال وسبيت الذراري والحرم ، وبيع من لم يقتل بأبخس الأثمان وأخذوا من الأموال والجواهر مالا يحصى ، وقيل قتل مئة ألف " .

وقد يكون الدليل والسبب في ذلك هو استمرارهم في الحصار حوالي عام ، فكان ذلك بمنزلة انتقام من السكان لمقاومتهم ، وحتى تكون المدينة عبرة للمدن التي سيتوجه نحوها الموحدون مستقبلا ، إلا أن عدد القتلى الذي ذكره النويري مبالغ فيه ، فبدخول الموحيدين للمدينة انخفض عدد السكان فيها بشكل كبير بسبب موت عدد منهم أثناء الحصار ، وقتل قسم آخر أثناء دخول الموحيدين المدينة ، وهروب قسم منهم خارج المدينة أثناء الحصار .

اهتمت الدولة الموحدية بتلمسان ، فقد أعاد الموحدون بناء المدينة بعد أن دمرها أثناء الحصار ، وجلبوا إليها الناس وأسكنوهم فيها لإعادة إعمارها ، وأقاموا فيها المباني والقصور الفاخرة ، وحصنوها بالأسوار والخنادق .

وقد أصبحت المدينة مركزا للولاية الممتدة من ملوية غربا إلى نهر مينه شرقا ، عندما قسم عبد المؤمن البلاد بين أبنائه ، خرجت من نصيب ابنه ابي حفص

عمر ، وكان الوالي على تلمسان مسؤولا عن القبائل الهلالية ومراقبتها ، وكانت المدينة مركزا للجيش الموحدية المتجهة نحو الشرق وخاصة أثناء مقاومة ثورة ابن الغانية .

كما أصبحت المدينة أحد المراكز العلمية في الدولة ، وإحدى المدن التي تعلم فيها أبناء الخلفاء والأمراء الموحدين ، كما كان محصنة أيام الموحدين بدليل أنهم استخدموها كمنفى أو سجن للخارجين عن الدولة.

و حسب قول صاحب كتاب روض القرطاس بأن الخليفة عبد المؤمن الموحدي بني قناة لتوصيل الماء من العين المسماة غبولة Ghaboula إلى الرباط سنة 545هـ/1150 م ، وبما كتبه قبله صاحب كتاب الاستبصار من أن الخليفة أبا يعقوب . يوسف بن عبد المؤمن والد يعقوب المنصور . أمر ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ، وفي هذه القصبة جامع وقصور وصهاريج للماء أمام الجامع مجلوب من نحو عشرين ميلا . ويستنتج بذلك باصت Basset أن القناة المعنية هي تلك التي كان يصل عن طريقها ماء عين غبولة إلى المواجه التي تحدث عنها صاحب كتاب الاستبصار ، وهو خاص بتزويد مسجد عبد المؤمن والقصر وكذلك الجيوش المعسكرة في الضواحي ، فهو يشكل نموذجا كثير الأهمية من عمل كبير للصالح العام ، أنجز في وسط القرن الثاني عشر الميلادي .

وبالقرب من مدينة أغمات حاضرة المصامدة ، الواقعة بالمغرب الأقصى ، توجد حسب الزهري القرن 6هـ/12 م " البركة العظيمة التي تجتمع فيها مياه أغمات كلها ، وهي كثيرة الفواكه والزرع والضرع " .

وقد تم اكتشاف سدا و مواجل قديمة في ممر سيدي بوعثمان في شهر ماي سنة 1947 م ، على بعد 40 كلم من مراكش عند حدود السهل ، وفي تعليقه على هذا الاكتشاف ذهب إلى القول أنها تذكر بشكلها وبنائها بمواجه القرن الثاني عشر الميلادي وخاصة مواجل المساجد آنذاك ، وتساءل نفس الباحث ما إذا لم يكن الأمر متعلقا بأحد الأعمال المائية الكثيرة التي أنجزها أبو يوسف يعقوب المنصور

الموحدي ، وهذه فرضية يؤكد صحتها في نظره الجسر الذي أقامه الموحيدين بمدينة تانسيفت بمراكش ، والمكتشفات الحديثة بالبحيرة من مواجل وساقية اليعقوبية ، وهي تقع في نفس الطريق الذي يربط إمارات المغرب الأقصى بفاس. ومردّ ظروف هذا الانشاء إلى كون الأمطار النادرة والغزيرة جدا ، عندما تسقط بناحية سيدي بوعثمان أحدثت في النهاية حفرا متصلا بتلعات ، غالبا ما تكون واسعة جدا وهي تزود منخفض السد المسعى أوالمسجون ، والوادي المسعى بوعثمان هو أحد هذه التلعات الهامة ، وقد سدّ بمبنى طوله 105 م لتزويد تسع مواجل تقدر سعتها الاجمالية ب 3254 م³ ، ولتفادي دخول الطمي الذي تحمله مياه الفيضانات إلى المواجل أنشأ ماجلا للتصفية ، بين القناة والخزانات ، طوله 12.50 م وعرضه 06 م وعمقه 1.50م ، وهو محفور في الشيست ومجهز من الداخل بكيفية تجعله متماسكا بطلاء من الكلس.

ويتم جريان الماء في المواجل المركزية الثلاثة على ارتفاع 70سم من قعر ماجل التصفية ، و المواجل التسعة عبارة عن بيوت متوازية ، لها قباب نصف أسطوانية ومجول طولها 49 م على 45 م وهي موجهة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، والأبعاد الداخلية لكل ماجل تساوي 22 م طولا على 3.6 م عرضا و 4.40 م ارتفاعا ، ويساوي شعاع القبة 1.80 م ، وتتصل كل المواجل ببعضها عن طريق ممرين وسعتها الاجمالية تقدّر ب 3254 م³ على العموم ، غير أنها لا تزيد عن 2130 م³ لأن الماء الخارج من ماجل التصفية يسيل فوق قاعدة الجهات المقبّبة بقليل .

وقد ذهب عزّ الدين أحمد موسى إلى القول بأن الموحيدين شرعوا بمجرد ما استقرّ لهم الأمر، في اكمال الجهود التي بدأها المرابطون قبلهم ، وراحوا يستفيدون من تجارب العهد الروماني بالكشف عن آثار الري القديمة وتجديدها والاقتداء بها في أماكن أخرى .

كما استفادوا من خبرات المهندسين الأندلسيين في إجراء المياه في بحائر مراكش ، وقد برز في عهدهم بعض المغاربة في هندسة الري ، فتوفرت لهم من الخبرة ما

مكّتهم من استنباط المياه من باطن الأرض وتوصيلها من أماكن توفرها إلى مناطق الزراعة ، وفي هذا الإطار يسجل ما نقله عبد المؤمن من مياه إلى مراكش و سلا والرباط ، ويوسف إلى فاس وسبتة ، والمنصور إلى مراكش وفاس ، والناصر إلى هذه الأخيرة .

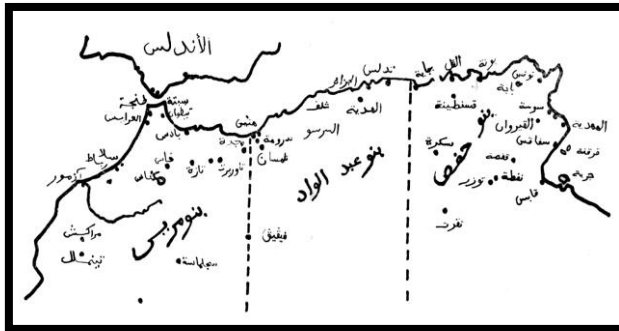
شهد المغرب الاسلامي أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (5هـ/11م) سقوط الدولة الأموية بالأندلس ، وقيام دولة الطوائف التي حلت مكانها ، وكان هذا جلاء الضعف الذي لحق الخلافة الأموية ، كما توسعت حركات الاسترداد وتزايد طرد المسلمين من تلك المنطقة ، وفي مقابل هذا كانت القوى المسيحية تتوحد ، وأخذت حركات الاسترداد شكل الصليبية يوجهها البابا ويساندها ، فاستولوا على الكثير من المدن وجعلوا منها حصونا يشنون منها الغارات على البلاد الاسلامية ، فشعر المسلمون في الأندلس بالضعف وساءت أحوالهم المعيشية فتقهقرت كلمتهم ، وكان لابد لهم من عون خارجي يحميهم مما أصبحوا عليه ، فرأوا في المرابطين ضالّتهم المنشودة لما عرفوا من حب للجهاد في سبيل الله ، فكانت حرب معاكسة خاضها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين ، والذي انتصر في معركة الزلاقة سنة 479 هـ/1086 م ، فكانت بذلك ضربة قاضية على الجيوش المسيحية النصرانية فانهمزوا هزيمة لم يعرفوها منذ قرون ، فانتشر بعدها خبر الانتصار وسادت الطمأنينة في النفوس ، فكانت نقطة تحول جد هامة في المنطقة نتج عنها ربط المغرب بالأندلس وتوحيده تحت راية الدولة المرابطية .

كما لامسنا اعتناء الدويلات السابقة واهتمامها بعنصر الماء في بلاد المغرب الاسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة ، وبقي ذلك من أولويات انشاء المدن وتحضّرها ، على غرار المرابطين الذين كانت لهم لاستغلال هذا العنصر سياسة جاءوا بها تأثرا بسابقيهم، كما كان الحال عند الحماديين الذين تأثروا بسياسة الأغالبة في المغرب الأدنى .

3. الصراعات التاريخية بين الدولات بالمغرب الأوسط وعلاقتها بعصر الماء:

كان المغرب الاسلامي خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (7هـ/13م) موحدا تحت راية الدولة الموحدية ، فشهد أثناءها استقرارا سياسيا واجتماعيا استمر حوالي قرن من الزمن ، ثم بعد واقعة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212 م أخذ الضعف يدب في حكمها لتلهم ثورة بني غنية ، ثم كانت وقعة بين الموحدين وبني مرين سنة 612 هـ/1216 م ، ليظهر أيضا تنافس الولاة والأمراء على الرئاسة.

فنجم عن ذلك ظهور ثلاث دول مستقلة ، حيث أخضع الجزء الشرقي لسيطرة بني حفص ، والجزء الغربي لبني مرين ، بينما استقر بنو زيان بالجزء الأوسط ، حيث اتخذوا عاصمتهم تلمسان (الخريطة 01) .



الخريطة 01: المغرب الاسلامي القرن 7. 10 هـ / 13. 16 م. عن عبد الرحمان
الجلالي.

1.3. علاقة الأحداث التاريخية الموحدة بظهور الدولة الزبانية :

قبل التحدث عن تاريخ الدولة الزيانية والمرينية لابد من الإشارة إلى علاقة أحداثها بالدولة الموحدية ، التي تعد من أعظم الدول المغربية التي شهدها المغرب الاسلامي قوة وسعة رقعة ، وانبساط نفوذ مترامية الأطراف ، استطاعت أن تحافظ على استمرارية وحدة ترابها الممتدة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والبحر الأبيض المتوسط والأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا ، وكان لهذه

القوة أثر على الصعيد المغربي والأندلسي ، إذ أصبحت تمثل قوة سياسية فاعلة وقوة عسكرية ضاربة في غرب البحر الأبيض المتوسط ، في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني من الحروب الصليبية المدمرة ، والهجوم المغولي الكاسح وحروب الاستيراد الأسبانية ، فقد كان الموحدون رمز التصدي وحماة دار الإسلام ببلاد المغرب والأندلس ، إلا أنه في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي (703هـ/13م) ، بدأ الضعف يدب في كيان الدولة وظهر ذلك جليا بعد هزيمة الجيوش الموحدية أمام النصارى الأسبان في معركة العقاب سنة 609 هـ/1212 م ، والتي وصفها البعض على أنها الواقعة التي أفضت إلى خراب الأندلس ، فمنذ سنة 610 هـ 1213 م أخذت مدن أندلسية تسقط بيد أسبانيا النصرانية دون أن يستطيع الموحدون الدفاع عنها .

وفي سنة 610 هـ/1213 م هلك محمد الناصر بعد عودته من الأندلس ، ووليّ ابنه يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور ابن ست عشرة سنة ، وهو ما يزال شابا يافعا لقّب بالمنتصر بالله فاستبدّ عليه المشايخ لصغر سنه ، ولما كان بعيدا عن أمور الإدارة ميالا للهو بدأوا في استبعاد سلطانهم ، فظهر بعد ذلك ضعف الإدارة الموحدية واثارت القبائل وخرج رجالها عن طاعة الموحدين .

ومنذ سنة 615 هـ/1218 م بدأ الانحلال الموحي وتلاحقت بوادر الضعف والتي من علاماته انحسار نفوذ السلطة في المدن الخاصة وانعدام الأمن في الطرقات بعد ظهور كثرة الفتن بين القبائل ، وظهرت المنكرات وامتناع الشعب من أداء الضرائب ، كما انتاب السلطة المركزية الفوضى واستفحل الصراع على العرش بين أفراد البيت الموحي وأصبح أشياخها يتلاعبون بخلفائها هذا فيما يخص الحالة الداخلية ، أما من الخارج فتزايدت الأطماع الخارجية وتعرضت عدة مدن ساحلية لهجمات بحرية ، وقد عانت من جراء ذلك الأندلس فافتقرت كلمتهم وتحاربوا على الخلافة واستجاروا بجيرانهم ، وخلال هذه التقلبات التي مرت بها الأندلس سقطت العديد من المدن والقواعد والحصون بيد أسبانيا

النصرانية فساهمت هذه الأوضاع في انحلال الدولة الموحدية وضعف كيانها تدريجيا والذي ادى أخيرا إلى انهيارها وسقوطها.

إلا أن هذه الأوضاع المتقلبة لم تمنع البعض من التخطيط خفية وجهرا لما هو في صالحها ، فاستغلت بعض القوى السياسية والزعامات القبلية هذه الفرصة لإعلان استقلالها عن الخلافة الموحدية ، وانشاء كيانات سياسية تمثلت في ثلاث دول متصارعة ومتنافسة على امتلاك البلاد وفرض سلطانها على كافة أرجاء المغرب الاسلامي ، وسعت كل واحدة منها إلى بسط نفوذها ، وتوحيد البلاد تحت لوائها باعتبار ادعاء كل واحدة منها في وراثه الموحدين ، وكان بنو حفص أول من انهمزوا فرصة هذا الفراغ ، فبسطوا سلطانهم وانفردوا بحكم ولاية افريقية وأعلنوا قيام دولتهم وجعلوا مدينة تونس حاضرة لهم وذلك سنة 625 . 982 هـ/ 1227 . 1574 م ، فقد أسسها أبو حفص زعيم قبيلة هنتاتة ، امتدت من طرابلس شرقا إلى جزائر بني مزغنة غربا ، أما بالنسبة لبلاد المغرب الأوسط فقد ظهرت الدولة الزيانية وكانت عاصمتها مدينة تلمسان وذلك سنة 633 . 964 هـ/ 1236 . 1556 م ، على يد يغمراسن بن زيان زعيم قبيلة بني عبد الواد ، امتدت من جزائر بني مزغنة شرقا إلى واد الملوية ومدينة تازا غربا ، بينما ظهر في المغرب الأقصى بنو مرين وجعلوا مدينة فاس عاصمة لهم ، وكان ذلك سنة 668 . 869 هـ/ 1269 . 1464 م ، امتدت من وادي الملوية شرقا إلى البحر المحيط غربا.

وفي ظل هذه الأحداث ظهر بنو زيان أو بنو عبد الواد إلى أحد فروع قبيلة زناتة البدوية منشئ دولتهم يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان بن يندوكسن بن طاع الله علي بن يمل بن برجي ابن القاسم.

كان بنو عبد الواد عبارة عن قبائل استوطنوا الصحراء وانتجعوا مراعيها من سجلماسة إلى أرض الزاب من افريقية ، ولما قام عقبة بن نافع الفهري بحركته في بلاد المغرب فاتحا كانوا أول من أطاعه وساندوه وسارعوا إليه وشكّلوا فرقة من جيشه تابعت معه الفتوحات غربا ، ولما حلّ عرب بنو هلال بالمغرب خلال القرن 5 هـ/ 11 م اندفع بنو عبد الواد غربا أمام الحملات الهلالية ، واستقروا بالمراعي

جنوبي وهران ، وصاروا يرتادون التلّ أكثر من الصحراء لما وجدوا فيه من خصوبة الأرض ، وتوفر المراعي والمياه واستقروا به واتخذوا من بني عبد المؤمن أنصارا فجعلوهم حماة لقطر تلمسان واكتسبوا نظير ذلك حقا فأقطعتهم الموحدون عامة بلاد بني يلومي وبني مانوا فتوسع نفوذهم في المنطقة واستغلوا اضطراب الدولة الموحدية في أواخر عهدها وسعوا للسيطرة على تلمسان ، فبسطوا النفوذ على أحوازها واقتطعوا أراضيها ، وكان قائدهم حابر بن يوسف بن محمد .

وفي سنة 627 هـ/1230 م استطاع هذا الأخير أن يضع حداً للاستفزازات والتحرشات التي كان يسلكها والي تلمسان ، كان إذ ذاك أبا سعيد عثمان بن يعقوب المنصور لأخيه المأمون إدريس بن المنصور سنة 624 . 630 هـ/1227 . 1232 م ضد قبيلته ودخل مدينة تلمسان ، وأعاد الدعوة للمأمون الموحي ، فضبط أمورها واستقل بحكمها إلا ما كان ذكر المأمون على المنبر والسكة وبعث إلى المأمون بطاعته، فكتب له العهد على تلمسان وسائر بلاد الزناتة فاستولى على أحوازها وضمّ بطون بني عبد الواد إلى السلطة ومدن أخرى ما عدا مدينة ندرومة. و لما أراد اخضاعها أصابه سهم أودى بحياته في أواخر سنة 629 هـ/1231 م ، وبعد وفاته خلفه ابنه الحسن الذي تولى الحكم لمدة ستة أشهر ثم تخلى عنه لعمه عثمان بن يوسف إلا أنه أساء للملك فأخرج من تلمسان واتفق بنو عبد الواد على أبي عزة زيدان بن زيان بن ثابت بإجماع ، امتنع عن مبايعته أحد بطون زناتة وأبناء عمومتهم فحاربهم وقتل في إحدى المعارك سنة 633 هـ/1235 م ، فخلفه يغمراسن بن زيان الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية .

وتولى يغمراسن بن زيان حكم إقليم تلمسان في عهد الخليفة الموحي عبد الواحد الرشيد بن المأمون سنة 630 . 640 هـ/1232 . 1242 م ، وتميّز يغمراسن بصفات وخصال أهّلته للقيام بالدور الكبير في وضع الأسس المتينة لدولة بني عبد الواد الناشئة، فتميز بحسن السيرة و بمواقفه الحربية الكثيرة ، استمر عهده حتى سنة 681 هـ/1282 م ، اتخذ بنو عبد الواد تلمسان حاضرة لدولتهم ، وكان موقعها الجغرافي الذي يتوسط المغربين الأدنى والأقصى جعلها تحتل مكانة

سياسية ، تجارية واقتصادية، كما جعلها عرضة للغزو والحصار من جارتها الحفصية والمرينية ، اللتين كانتا تحاصراها وتضيقان الخناق عليها .

2.3. المريونيون وعلاقتهم بظهور الدولة الزيانية :

لما تمكّن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 656 هـ/1257 م من فاس ومكناس ، وبدأ الصراع بينه وبين أبي دبوس خليفة الموحيدين الذي انحصر ملكه في اقليم مراكش أخذ يستعد لمنازلة بني مرين الخارجين عليه ، فكتب أبو دبوس إلى يغمراسن بن زيان يستعين به على يعقوب بن عبد الحق المريني ، فسارع يغمراسن إلى الاستجابة لذلك الطلب فأخذ يشن الغارات على بلادهم فأثار ذلك يعقوب بن عبد الحق المريني فترك حصار مراكش واتجه إلى عاصمته فاس ، حيث جهّز للسير إلى تلمسان ونهض إليها في منتصف محرّم من سنة 666 هـ/1267 م ، وهناك دارت معركة ضاربة تعد من أعنف المعارك بين القبيلتين الزناتيتين الكبيرتين ، وانهزمت فيها الجيوش الزيانية وهلك فيها أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وكان كبير أولاده وولي عهده ، إلا أن هذا لم يوقف يعقوب بن عبد الحق المريني ، وطمحت نفسه إلى القضاء على بني عبد الواد وضّم اقليم تلمسان إلى نطاق ملكه والذي كان سلاطين المغرب الأقصى يرون أنه جزء من دولتهم ، فحشد جموعها من بني مرين وحلفائهم العرب ونهض بهم إلى بني عبد الواد ، حيث خسر يغمراسن بن زيان ابنا ثانيا من أبنائه وهو أبو عنان فارس ، حاصرهم بتلمسان أياما دون أن ينال منها ، فقرّر رفع الحصار والعودة إلى بلاده ، ولعل السبب في ذلك مناعة وحصانة تلمسان وقدرة هذا الموقع على مقاومة عوامل الانهيار ، فهي تقع في موقع وعمر بحكم الطريق من قلب الصحراء إلى البحر وقوافل التجارة لا بد أن تمر بها والهضبة التي تقوم بها تزيد من مناعتها ، والسهل المحيط بها يقدم لها الميرة ، فقد كان لموقع تلمسان دورا كبيرا في صلابة بني عبد الواد وطول تاريخها الذي قدّر بحوالي ثلاثة قرون فيها .

حكم يغمراسن بن زيان 48 سنة ، عرف من خلالها كيف يبسط نفوذ دولته ويحافظ على حدودها اتقاء شرّ بني حفص تارة وبني مرين تارة أخرى ، حتى أصبحت ثبت أركان هذه الإمارة في تاريخ المغرب الاسلامي طوال مدة حكمه ، تولى الإمارة بعده ابنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان ، وفي هذه الفترة تعرضت العاصمة إلى نوبات من الحصار من طرف المرينيين ، ولكن حصانة المدينة حالت دون سقوطها ، غير أن أشد حصار ضربه المرينيون على تلمسان كان سنة 698 هـ/1299 م ، وقد دام ثمان سنوات وأزيد تعرض خلالها الزيانيون إلى معاناة كبيرة وكان له أثر كبير على تلمسان فاضطروا إلى أكل الجيف والقطط حتى أنهم زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس ، وخبروا الأسقف وجعلوها وقودا ، وبلغ عدد من مات من أهل تلمسان في هذا الحصار الطويل 120 ألف إنسان ، كما جاء في " البغية " ، ولم ينته إلا بوفاة السلطان المريني أبو يعقوب يوسف سنة 706 هـ/1307 م ، الذي بنى مدينة المنصورة .

وعندما مات عثمان الزياني أثناء الحصار خلفه أبناؤه أبو زيان الأول 703 . 707 هـ/1304 . 1308 م ، ثم أبو حمو موسى الأول 707 . 718 هـ/1308 . 1319 م (الرحمن)) ، ولم يصف الجو للزيانيين طيلة حكم هؤلاء ، إذ كثرت هجمات المرينيين ، حتى وصلت إلى حد احتلال المغرب الأوسط في الفترة الممتدة من 753 . 760 هـ/1354 . 1361 م ، ولكن أبا حمو موسى الثاني استطاع أن يحرر الأراضي من جديد ، ويفك المدينة من الحصار ، كما عرف بخصاله وميزاته في الحكم ، بالإضافة إلى علمه وأدبه ، مع أن الدولة عرفت في عهده هزات عنيفة إلا أنه استطاع أن يبرزها كقوة اقتصادية وسياسية ، وكمعلم متميز إلى أن قتل في إحدى معاركه مع المرينيين سنة 791 هـ/1392 م .

وهكذا انقلب الوضع بالنسبة لدولة المغرب وأصبح التوتر يسوده طوال مدة حكم هذه الدول ، تتخللها فترات من الاستقرار ، وقد ساهم الصراع السياسي بين المرينيين والزيانيين مساهمة كبيرة في هذا التوتر .

خاتمة :

حكم بنو زيان المغرب الأوسط متخذين من تلمسان عاصمة لدولتهم لأكثر من ثلاثة قرون : 633 . 964 هـ / 1236 . 1556 م ، عرفت البلاد خلالها فترات ازدهار وتقدم وقابلتها فترات اضمحلال وتدهور ، هذه الظروف انعكست آثارها على جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية والفنية ، لكن ورغم هذا فإن الدولة الزيانية خاصة أيام قوتها وعزتها تغير على أراضي جيرانها شرقا وغربا ، إلا أنها وفي نفس الوقت عانت من المآسي جراء الحروب والغارات لا سيما من بنو مرين الذين تمكنوا من احتلال عاصمتهم تلمسان مرات عديدة خاصة على عهد حكم أبي الحسن المريني سنة 735 هـ / 1334 م ، وأمام هذه الهجمات والمآسي لجأت الدولة الزيانية إلى مساندة ملك غرناطة على غرار ما فعله المرابطون والموحدون من قبل ومن ثم عمل بنو الأحمر من غرناطة على مساعدة الزيانيين بشتى الوسائل لكي يضعفوا من شوكة المرينيين وينشغلوا عنهم.

وكان من نتائج هذا التعاون بين بني الأحمر وبني زيان أن ارتبطت تلمسان بغرناطة في مختلف الميادين الحضارية والفنية ، لكن وكما يقول ابن خلدون فإن للدولة أعمار ، وهكذا كانت الدولة الزيانية ، إذ مع مرور الزمن دب الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة ، فكان السبب المباشر للتدخل التركي الاسباني من خلال الصراع الثنائي بينهما ، وهو ما عجل بنهاية الدولة الزيانية بعد أن دخل صالح رايس مدينة تلمسان وجعلها جزءا من إيالة الجزائر العثمانية سنة 962 هـ / 1555 م .

والجدير بالذكر في هذا الصدد أن أول ما تقوم به أي دولة محاصرة لتضييق الخناق على المدينة المحاصرة ، هو قطع مراكز تزويدها بالمياه ، مما يسهل عملية الاستيلاء عليها ، ولكن مدينة تلمسان وبالرغم من الحصارات المتتالية التي شهدتها ، وما لحقها من خسائر مادية وبشرية ، إلا أنها استطاعت أن

تصمد أمام المرينيين الذين حاولوا تطبيق هذا المبدأ ، والفضل في ذلك راجع إلى نظام تزويد المدينة الداخلي بالمياه ، وتوفر المنشآت المائية من آبار ومختلف المرافق الأخرى من جهة ، ومن جهة أخرى ساهمت أسوار المدينة في منع العدو من الوصول إليها ، وكذا طريقة بنائها والمواد المستخدمة في ذلك ، فما كان للزيانيين إلا أن يصمدوا داخل أسوار المدينة لولا توفر المياه ونجاعة منشآتها وخلال الحصار الطويل للمرينيين وفترة احتلالهم شيدوا منشآت معمارية وعمرانية وفنية عديدة في تلمسان ، محاولة التأثير منهم على سكانها ليألفوا وجودهم ، وزينوها بأبهى حلّة فنية وجمالية ، هي خلاصة ما توصل إليه الفن الاسلامي المغربي الأندلسي من تطور وازدهار ، وأرقى ما حققه من جمال وجمالية ، وتنوعت مواضيعه واختلفت أشكاله ، وعبر من خلاله الفنان عن روح المجتمع المغربي في تلاقيه مع أمته الاسلامية وتواصله معها ، مساهما بذلك في الحضارة العربية الاسلامية بما توفر لديه من امكانيات وقدرات تقنية وخبرات وتجارب فنية هي رصيده الموروث الحضاري للفن الاسلامي والفن المغربي الأندلسي الذي انتهى اليه في ذلك العصر (العزیز)، 2007 ، لكن للأسف فلم نكد نظفر بأثار عمرانية إلا القليل ، منها ما سجله التاريخ من تخريب وتدمير ، وما شيدته يد الحضارة الاسلامية بهذه الديار ، رغم ذلك كله فإنها لا تزال بعض معالم المدينة من أثار هذه الدولة ماثلة للعيان قائمة بالمغربين الأقصى والأوسط والأندلس .

ونستخلص بذلك مما عرضناه أن طول فترة حكم الزيانيين والمرينيين عمل بنو الأحمر على تأييد بني زيان وبنو مرين بشتى الوسائل والحيل ، فارتبطت تلمسان وغرناطة ببعضها ارتباطا سياسيا وثيقا انعكس مليا على مباني تلمسان ومساجدها ومدارسها وطبعت بالطابع الأندلسي ، إلا أن هذا النشاط في حركة البناء والتعمير لم يكن وليد الصدفة وإنما نتيجة أجواء ساعدت على ازدهاره كالخليط المتنوع والمشكل للمجتمع الزياني وكذا المريني وقبلها بالمجتمع المرابطي ، من أعراق عربية وأمازيغية ، ووافدين أندلسيين ، ويهود ومسيحيين و أفارقة ،

الحاملين لتقاليد وعادات وثقافات مختلفة، والمنتقلين إلى طبقات اجتماعية متباينة هذا المزيج والذي اختار لنفسه تلمسان عاصمة ومركزا تتلاقح فيه الثقافات وتتقاطع الطرق التجارية فيها ، ابتغاء الرزق ومنهم من كانوا أسرى حرب

المراجع

- . بيروت لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة بت 380/990 م ، صورة الأرض .(1992). ا. ح ,
- . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع :الجزائر بولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية .(1980). ا. ,.
- . القاهرة: مطبعة الأطلس تاريخ المغرب العربي .(1978). الحميد), س. ز
- . كتاب العبر ، الجزء السادس .(n.d.). الرحمن), ا. خ
- . كتاب العبر ، المصدر السابق ، الجزء السابع .(n.d.). الرحمن), ا. خ
- . نزهة المشتاق .(n.d.). الشريف), ا
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : .(1981). .(العباس), ا
- . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بونار رايح ، الطبعة الثانية
- دار .جمالية الفن الاسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان ، الطبعة الأولى .(2007). .(العزيز), ل
- الملكية
- . المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : خليل عمران المنصور .(1998). .(الواحد), ا
- . بيروت: دار الكتب العلمية
- دار .المياه في القرآن مناهج لتفسير الارشادات العلمية في الآيات القرآنية .(2002). .(عامر), ا
- . النفائس - بيروت - الطبعة الأولى
- .نشر البارون دوسلان .المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب .(1965). .(عبيدة), ا
- .القاهرة: مكتبة مدبولي معجم مصطلحات الفنون الإسلامية ، الطبعة الأولى .(2000). .(محمد), ر
- .دار الفكر العربي :القاهرة تاريخ المغرب والأندلس ، الطبعة الأولى .(1999). .(محمود), ح